

هل تولد استراتيجية جديدة للتعامل مع الأسد

العرب



الاختبار الجديد الذي تمثل في منع عقد مؤتمر "جود"، رسالة من النظام السوري إلى الروس، أكثر منه رسالة إلى معارضة الداخل التي تترك أنه لا يمكن لأي عمل سياسي أن يرى النور، مادام ضباط المخابرات السورية لا يرألون يستعدون قيادات تلك المعارضة ويناقشون معها الخطوط الحمراء التي لا يُسمح لأي نشاط بتجاوزها.

المعادلة تتغير من حول المعارضة السورية، وثباتها على مطالبها لا يشبه عناد الأسد في الإصرار على البقاء، والعالم والإقليم لن ينتظرا إلى الأبد، فالمعارضة من جانبها باتت تميل إلى الجمود وقلة الحيلة، بينما الأسد بغلق الباب كل مرة ليدل الجميع إلى طريق جديدة يمكن المرور منها نحو الحل، طريق تمر عبره هو دون سواه، بعيدا عن أي قرارات دولية أو اتفاقات أو حديث عن محاسبة، وهو براهن على العاملين اللذين بقيا دوما يعملان لصالحه وينفذانه من جميع المازق التي وقع فيها سابقا، والمفقودين من جميع استراتيجيات المعارضة السورية؛ الزمن وخلق الحاجة.

المعارضة السورية باتت تميل إلى الجمود وقلة الحيلة بينما الأسد يغلق الباب كل مرة ليدل الجميع إلى طريق وحيدة يمكن المرور منها نحو الحل، طريق تمر عبره هو دون سواه

دمشق برعاية روسية، وبضمانات من موسكو بعدم تعرض الأجهزة الأمنية السورية إلى أي من أعضائها، رغم أن الأمر تم اختياره لمرات، ونتج عنه اعتقال شخصيات هامة من قيادة الهيئة مثل الطبيب عبدالعزيز الخير رئيس مكتب العلاقات الخارجية فيها الذي ألقى المخابرات السورية القبض عليه إثر عودته إلى دمشق من الخارج، وكذلك أمين سر الهيئة رجا الناصر، بالإضافة إلى حوادث أخرى مشابهة.

المعارض المخضرم حسن عبدالعظيم والعديد من التيارات والقوى السياسية السورية المتباينة الأهداف والتوجهات. اضطرت من أجل تصديق تفاهاتها إلى أن تعلن اعترافها بحقوق قومية للأكراد وغيرهم من القوميات التي تعيش في سوريا، لتتجاوز تلك الأحزاب صلاحياتها وتفرض فوق أي دستور سوري، سابق أو مستقبلي، يعترف بالمواطنة للجميع لا بالحقوق العرقية والطائفية لأحد.

منعت أجهزة النظام "جود" من عقد مؤتمرها في دمشق، بعد الدعوة العلنية إليه وتحديد موعده، مع أن عبدالعظيم أكد أن الهدف من المؤتمر الدعوة إلى الحل السلمي، وفتح آفاق جديدة وصولا إلى الحل السياسي التفاوضي، وتنفيذ القرار 2254 كمشروع جدول أعمال لبيان جنيف، وبالتنسيق مع القوى السياسية. واشتكى عزاب المؤتمر من أن زملاءه فوجئوا بالتطويق الأمني لعناصر النظام لمحيط الفندق الذي كان سيعقد فيه، وتم منع القيادات المعارضة من الوصول إليه. الحادثة كشفت عن حقيقة جديدة، فالمعروف أن هيئة التنسيق تعمل في

الأوراسي في الخارطة الدولية، روسيا والصين بالطبع، ويجري على ظهر الملف السوري استدراج تلك القوى إلى معادلات وحسابات في نقاط توتر عديدة في العالم، تبدأ بباكستان ولا تنتهي في بحر الصين وحرب الغاز التي تدور في أوروبا بهدوء. أما إيران في حسابات الأسد، فهي ورقة للتفاوض أكثر منها حليفًا داعمًا.

وسط هذا كله، فكرت جهات معارضة تقيم في الداخل السوري، بإحياء مشروع قديم، تأسس في العام 1979، ولم يكتب له الاستمرار، قاده المفكر السوري الراحل جمال الآتاسي، وكان يحمل اسم "التجمع الوطني الديمقراطي" الذي ضم العديد من أطياف المعارضة السورية، غالبيتها جمعها الفكر القومي العربي.

من هنا ولدت فكرة عقد مؤتمر لتأسيس جبهة وطنية ديمقراطية، أطلقت على نفسها اختصارا اسم "جود" ترعاها هيئة التنسيق الوطنية بقيادة

كزس أن ما يجري في سوريا هو حرب أهلية يتجسد أولا بتحويله للحالة السورية من ميدان جدل سياسي من أجل التغيير، إلى ساحة حرب على الإرهاب الذي كان هو شخصيا يطالب الغرب بتعريف محدد له، لتمييزه عن المقاومة وغيرها، حرب تسببت بفوضى شاملة ومدمرة، ويات هو طرفا فيها لا مركزيا للقرار، فوضى تسببت إليها مشاريع متطرفة من كل حذب وصب، وجدت في سوريا بيئة ملائمة، وبنزعه للصبغة السياسية من المشهد، أصبح الأسد قادرا على الاستمرار بحظر أي نشاط منوئ له على الأراضي التي يسيطر عليها، فكل من يخالفه في الرأي حول حملته العسكرية هو بالضرورة يناصر الإرهاب الذي يتهدد الدولة وأمنها. كما تمكن من استدراج القوى الداعمة له إلى رقة حربه، وهو يدرك أكثر من الجميع أنها غير قادرة على البقاء إلى الأبد، لأن العالم تغير ولم يعد الغزو والاحتلال والاجتياح الخارجي قابلا للعيش وسط منظومة دولية مستقرة، على الأقل شكليا، ولا حاجة إلى التذكير بأن آخر احتلال عسكري رسمي لدولة لأخرى كان احتلاله للبنان وانسحابه منه بإجماع دولي وتحت التهديد.

أخطر ما يملكه الأسد، هو معرفته الدقيقة بكون نظامه ضرورة عضوية، سواء في الإقليم أو على المستوى الدولي. فتقديمه لسوريا كوابنة أمام كل الدول الطامحة إلى بسط نفوذها أمر لا تريده دول الإقليم. وسوريا بفعل عوامل عديدة، لم يكن الأسد بعيدا عن تركيبها، استعملت من قبل الأميركيين، وبيدادة، وحسب تعبيرا وكألة الاستخبارات المركزية كـ"مصدية للذباب" لاستقطاب المشاريع المتشددة، من جهة، ومن جهة أخرى، كتنقطة ارتكاز لإعادة تشكيل الخطر

و قد بدأ المشهد، الذي سرّيته مؤخرا منابر النظام السوري عن احتفال بعيد جلاء الفرنسيين عن سوريا الذي يصادف السابع عشر من أبريل كل عام وأقيم في قاعدة حميميم العسكرية التي يسيطر عليها الروس وبمشاركتهم، مشهدا فيصح عن الكثير. وأخر ما يمكن أن يقرأ المرء منه، الرغبة الروسية بالتعبير عن الانتصار على الغرب الذي تمثله أوروبا وفرنسا التي غادرت سوريا قبل عقود. ابعد من ذلك بريد الروس أن يرشخوا ما تمكنوا من إقناع الولايات المتحدة به في جنيف، عبر البيان الشهير الذي استبدل رد الفعل الدولي حيال استخدام السلاح الكيماوي من قبل الأسد ضد المدنيين، بحل سياسي لا يبدل عنه، ولا سيبل إليه.

ما يحتفل به الأسد حقا، نجاحه في تحويل الانتفاضة الإصلاحية السلمية إلى "حرب أهلية"، وسيحجج المعارضون السوريون مجددا على تعبیر "حرب أهلية"، بحكم ما يعنيه ذلك من استحقاقات وتبعات قانونية تختلف عما يرون أنه قد حصل في بلادهم.

الواقع الجديد الذي خلقه نظام الأسد، حين

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

لا يمكن للنشاط الكثيف الذي تشهده الساحة السياسية السورية في الآونة الأخيرة، لإسما بعد انسداد أفق التفاوض، إلا أن يفرض على تصورات جديدة عن حل النزاع الذي يدخل عامه الحادي عشر خلفا شروخا هائلة في المسألة السورية برمتها، الدولة وهويتها والمواطنة والدور التاريخي والمستقبلي.. وتكثر المشاريع السياسية الجديدة، وتتوالد الأفكار حول الهاجس ذاته: معارضة سورية موحدة تواجه نظاما برهن طيلة الأعوام الماضية على قدرته على التماسك رغم الضربات التي تلقاها، ورغم انحساره عن ثلثي الأراضي السورية، قبل أن تنجح سياساته البراغمية في استرجاعها مستعينا بالروس والإيرانيين والمليشيات من كل حذب وصب. ولن يجدي نفعا ترداد المعارضين القول إنه لم يستعد توازنه بمفرده، ففي الحكم وضروراته، تكون المآلات هي المقياس لا كيفية الوصول إليها.

وقد بدأ المشهد، الذي سرّيته مؤخرا منابر النظام السوري عن احتفال بعيد جلاء الفرنسيين عن سوريا الذي يصادف السابع عشر من أبريل كل عام وأقيم في قاعدة حميميم العسكرية التي يسيطر عليها الروس وبمشاركتهم، مشهدا فيصح عن الكثير. وأخر ما يمكن أن يقرأ المرء منه، الرغبة الروسية بالتعبير عن الانتصار على الغرب الذي تمثله أوروبا وفرنسا التي غادرت سوريا قبل عقود. ابعد من ذلك بريد الروس أن يرشخوا ما تمكنوا من إقناع الولايات المتحدة به في جنيف، عبر البيان الشهير الذي استبدل رد الفعل الدولي حيال استخدام السلاح الكيماوي من قبل الأسد ضد المدنيين، بحل سياسي لا يبدل عنه، ولا سيبل إليه.

ما يحتفل به الأسد حقا، نجاحه في تحويل الانتفاضة الإصلاحية السلمية إلى "حرب أهلية"، وسيحجج المعارضون السوريون مجددا على تعبیر "حرب أهلية"، بحكم ما يعنيه ذلك من استحقاقات وتبعات قانونية تختلف عما يرون أنه قد حصل في بلادهم.

الواقع الجديد الذي خلقه نظام الأسد، حين

بشار الأسد رئيس لشعب يتوزع بين القارات

لقد اغراه الاستقرار الذي عاشته سوريا بحقائق زائفة فصدق أن الحزب والأجهزة الأمنية هما دعائم ذلك الاستقرار ولم يلتفت إلى حقيقة أن المراتب الحزبية وكفاءة الأجهزة وحمص واللاذقية وسواها من المدن السورية كان مقدما على نظامه الذي كان واحدا من أكثر الأنظمة تخلفا في المنطقة بسبب اعتماده على اليات عمل قديمة لم يتم تحديثها فتعرضت للاندثار. لذلك فإنها لم تعد صالحة للاستعمال.

كان المجتمع السوري حديثا فيما كانت الدولة قديمة ومتهالكة. أما كان ذلك واضحا بالنسبة إلى الولايات المتحدة التي أصرت على حصارها الذي الحق أضرارا فاحدة بالمجتمع السوري؟

في كل الأحوال كانت سوريا هي الضحية. أما حين دخلت دول كثيرة على خط الحراك الشعبي السياسي السوري فانحرفت به وحولته إلى ثورة مسلحة فقد طحنت تلك الضحية. لم يعد الموضوع يتعلق باجزائها بل بغتاتها. لقد فتحت الدولة السورية غير أن المجتمع السوري قد سبقها إلى التمزق. انتقل السوريون إلى دول الشتات، فقدت سوريا الكثير من صفاتها الأصلية بغياب صورة مجتمعها.

لا يزال بشار الأسد بحكم غير أن شعب سوريا فقد مكانه. فهل يعتبر الأسد نفسه رئيسا لشعب يتوزع بين القارات؟

الدولة والهيمنة على مواقع القرار فيها، وبالرغم من أسلوبه الخطابي المتخالف فإن الرئيس بشار الأسد كان أضعف من أن يقف في مواجهة المراتب الحزبية وكفاءة الأجهزة الأمنية في اختراع أعداء وهميين. كان ذلك للفشل واضحا بالنسبة إلى الشعب الذي كان متعاطفا مع الرئيس حين طالب بإلغاء الفقرة الدستورية التي تهب حزب البعث حق التفرد بالسلطة ودعا إلى تقييد صلاحيات الأجهزة الأمنية بالقانون.

كان الرئيس الشاب يومها في واد آخر ولم ينصت إلى الشعب.



لم تكن سوريا دولة ظل بل كانت دولة فاعلة على مستويات عديدة. هل تقود تلك الحقائق إلى مديح الأب وهجاء الابن؟ بالتأكيد تراجمت فلسفة الحكم بمجرد أن تم الإعلان عن نجاح مشروع الوراثة. ما حدث بعد ذلك كان تكريسا للفشل الذي ينسجم مع الأداء الحزبي المتهاك والوصولي وغير النزبه ورغبة الأجهزة الأمنية في ابتلاع

كل الأزمات الاقتصادية التي عاشها السوريون لم تقف حائلا دون أن تكون دولتهم ناجحة على الكثير من الأصعدة. فعلى سبيل المثال كان التعليم متقدما وكان هناك نوع من الاستقرار المالي إضافة إلى أن سوريا كانت إلى عام 2011 تعتبر من الدول الأمنة بالنسبة إلى مواطنيها وزائريها على حد سواء. وعلى مستوى العلاقة بمحيطها العربي كان ثبات الموقف السوري من القضايا المشتركة قد شكّل ضمانة لموقف عربي موحد أمام العالم.

بمليه عليها شعار الصمود والتصدي والممانعة من واجبات عبثية. كلا الحصارين مرتبطان أحدهما بالآخر، فيسبب تبنيتها مشروع فارغ المحتوى منفصل عن الواقع، عنوانه المقاومة من غير أن يكون هناك ما تقاومه فرض عليها الحصار الأميركي وخبث ويسبب ذلك الحصار فقد انخرقت سياسة الحكم في اتجاه عناد أوقع البلاد وساكنيها في دوامة من الخطابات الثقيلة التي هي عبارة عن لغو فارغ يقع عند حدود السياسة غير أنه لا يمت لها بصلة وكان ذلك مسرحا لحصار داخلي عاشه السوريون في ظل سلطة متعالية، مغرورة تظن أنها تعرف كل شيء وتتعامل مع الشعب بلغة العرافات. وهكذا تكون سوريا قد ظلمت لا بسبب سوء الفهم بل بسبب الانقطاع عن الحقيقة. فلا الولايات المتحدة رأت النظام السوري في حجمه الحقيقي بما ينسجم مع قوته ولا النظام رغب في أن يتواضع ويتخلى عن هيملانه الفارغ ويعود من أوهامه إلى الواقع. فينظر إلى نفسه في مرآة ذلك الواقع. لم تكن سوريا تشكل خطرا على أحد. ولو تم التعامل معها بشيء من الاحترام الذي تستحقه لما تدهورت علاقتها بالعالم الخارجي. كان حافظ الأسد نكيا في مسألة الحفاظ على نوع من التوازن في علاقات سوريا بالعالم الخارجي وكان ناجحا إلى حد كبير في تقديم سوريا باعتبارها دولة ناجحة.

كانت الأزمات الاقتصادية جزءا من الحياة العادية في سوريا. غير أن سوريا نفسها كانت تمتلك فائضا غذائيا دائما. هل كانت الأزمات مقصودة لأسباب أمنية، بحيث يبقى المواطن مشدودا إلى مواقع بعيدة عن الاهتمام بالسياسة وشؤون الحكم؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كانت الأزمات الاقتصادية جزءا من الحياة العادية في سوريا. غير أن سوريا نفسها كانت تمتلك فائضا غذائيا دائما. هل كانت الأزمات مقصودة لأسباب أمنية، بحيث يبقى المواطن مشدودا إلى مواقع بعيدة عن الاهتمام بالسياسة وشؤون الحكم؟

سوريا ظلمت لا بسبب سوء الفهم بل بسبب الانقطاع عن الحقيقة، فلا الولايات المتحدة رأت النظام السوري في حجمه الحقيقي ولا النظام رغب في أن يتواضع ويتخلى عن هيملانه الفارغ ويعود من أوهامه إلى الواقع. فينظر إلى نفسه في مرآة ذلك الواقع. لم تكن سوريا تشكل خطرا على أحد. ولو تم التعامل معها بشيء من الاحترام الذي تستحقه لما تدهورت علاقتها بالعالم الخارجي. كان حافظ الأسد نكيا في مسألة الحفاظ على نوع من التوازن في علاقات سوريا بالعالم الخارجي وكان ناجحا إلى حد كبير في تقديم سوريا باعتبارها دولة ناجحة.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كانت الأزمات الاقتصادية جزءا من الحياة العادية في سوريا. غير أن سوريا نفسها كانت تمتلك فائضا غذائيا دائما. هل كانت الأزمات مقصودة لأسباب أمنية، بحيث يبقى المواطن مشدودا إلى مواقع بعيدة عن الاهتمام بالسياسة وشؤون الحكم؟

سوريا ظلمت لا بسبب سوء الفهم بل بسبب الانقطاع عن الحقيقة، فلا الولايات المتحدة رأت النظام السوري في حجمه الحقيقي ولا النظام رغب في أن يتواضع ويتخلى عن هيملانه الفارغ ويعود من أوهامه إلى الواقع. فينظر إلى نفسه في مرآة ذلك الواقع. لم تكن سوريا تشكل خطرا على أحد. ولو تم التعامل معها بشيء من الاحترام الذي تستحقه لما تدهورت علاقتها بالعالم الخارجي. كان حافظ الأسد نكيا في مسألة الحفاظ على نوع من التوازن في علاقات سوريا بالعالم الخارجي وكان ناجحا إلى حد كبير في تقديم سوريا باعتبارها دولة ناجحة.